فقه التّحضّر ومقوّماته في فكر العلامة يوسف القرضاوي

الباحثة/ شيخة حمد الكبيسي*

https://aif-doi.org/AJHSS/118802

*باحثة ماجستير في العقيدة والأديان
اختصاص: الأديان وحوار الحضارات
كليّة الشّريعة - جامعة قطر

الملخّص:

التّدافع سنّة الله بين خلقه منه تنبثق الدّول وتظهر الجماعات وبه تتحدّد الملامح الحضاريّة لكلّ أمّة، هذه الملامح يصغها فرسان الكلمة أصحاب الفكر المتجدّد، وتستمرّ بهم المعالم الحضاريّة بتعاقب الأزمان على الأمّة جيلاً بعد جيل، تراهم في كلّ ميدان يذبُّون عنها، مثبتين أحقيتها الحضارية ورسوخها على مرّ العصور، وهو ما يستدعي الباحثين للوقوف على مثل أعمال هؤلاء الفرسان، لبيان أهميّته وعظيم أثره، وتكمن أهميَّة الشّخصية موضوع الدّراسة بأنّها إحدى الشّخصيات المجدّدة التّي صالتّ وجالتّ في ميادين مختلفة، صاحبها ثَبْتٌ في رأيه، واضح في طرحه، من النّاس من يعدّه الأوّل في مجاله لآخر مائة سنة ومنهم من عاداه وعادى فكره، وموطن المشكلة تضارب الآراء واختلاف القبول، حيث خطّ الشّيخ نهجه متوسّطاً بين نقيضين، أوّلهما النّموذج المنبطح المستكين للمسلم دون اعتبار لعزّته وكرامته وثانيهما التّطرف الأهوج الذي لا يراعي مآسي المسلمين ولا ينظر بعين العواقب ولا يعنيه إلّا معاداة الجميع وحربهم جميعاً، استرعى هذا النّهج انتباه الباحثة فعزمت أمرها على الخوض في لججه، تتناوله تباعاً من زوايا شتّى، إحداها ما سيأتي في السّطور القادمة، حيث تسعى الباحثة إلى تحرير القضيّة موضع البحث (التّحضر ومقوّماته في فكر القرضاوي) من زاويتين اثنتين، الأولى هي تحديد وتحليل نظريّة فقه التّجديد والتّحضر وأسسها عند القرضاوي والثانية هي إيضاح الجوانب والمقوّمات التّجديدية في فقه التّحضر لدى القرضاوي، مستخدمة بذلك المنهج الوصفي التّحليلي القائم على وصف المشكلة موضوع البحث والعمل على تجزئتها وتحليلها، لتخلص الباحثة إلى عدّة نتائج على رأسها تبويب مجموعة الضّوابط التّي تبنّاها القرضاوي للحفاظ على فقه التّحضر الإسلامي وثباته أمام المتغيّرات مع الانفتاح على العالم انطلاقاً من ثوابت الدّين الرّاسخة التّي جاء بها الرسول "صلى الله عليه وسلم".

الكلمات المفتاحيّة:

الفقه، القرضاوي، التّحضر، التّجديد، الانفتاح.

Abstract:

The interaction of divine decree among His creation gives rise to states, and groups emerge, defining the cultural features of each nation. The knights of the word, the creators of innovative thought shape these features. The

ISSN : 2410-1818

cultural characteristics persist through them as the ages unfold, generation after generation. You see them in every field, affirming their cultural legitimacy and stability across the ages. This necessitates researchers to examine the works of these knights, highlighting their importance and profound impact.

The significance of the study lies in focusing on a renewing personality that traversed various fields. Its owner is firm in his opinion, and clear in his presentation. Some consider him the foremost in his field for the last century, while others oppose him and challenge his ideas. The crux of the issue lies in the conflicting opinions and varying acceptance.

The Sheikh follows a middle path between two extremes. The first is the submissive model of Muslims without regard for their dignity, and the second is the extremist approach that disregards the suffering of Muslims, pays no attention to consequences, and is only concerned with opposing everyone and waging war against all.

This approach has caught the researcher's attention, prompting her to delve into it. She tackles it from various angles, one of which will be discussed in the following paragraphs. The researcher seeks to address the research topic (Civilization and its Components in the Thought of Al-Qaradawi) from two perspectives. The first is to identify and analyze the theory of renewal and civilization in Al-Qaradawi's jurisprudence, and the second is to clarify the renewal aspects and components in Al-Qaradawi's jurisprudence, using the descriptive-analytical method based on describing the research problem, segmenting and analyzing it. The researcher arrives at several results, including the categorization of the guidelines adopted by Al-Qaradawi to preserve Islamic civilization and its stability in the face of changing circumstances while embracing the world, based on the solid religious principles brought by the Prophet Muhammad, peace be upon him.

Keywords:
Jurisprudence, Al-Qaradawi, civilization, renewal**.**

المقدّمة:

الحمد لله، والصلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد...

من نعم الله أن يأتي في كلّ زمن فقهاء يجدّدون الدّعوة للإسلام، فلا يخلو عصر من فقهاء مجتهدين مجدّدين على قدر من العلم والمعرفة بالدّين والإيمان، يتّصفون بالعدل والاعتدال، ويدافعون عن الدّين الإسلامي ويرشدون إلى الطريق الحقّ ويردّون على الاتهامات التّي توجّه للإسلام، ومن الضروري التّأكيد أنّ هذا الشّرط أساسي لبقاء هذا الدّين، مع استمرار قوته، رغم متغيّرات الأزمنة والأمكنة.

ISSN : 2410-1818

ويكمن الموضوع الجوهري لهذا البحث في تسليط الضوء على جهود عالم كبير، واسع العلم، غزير الإنتاج، يضرب بسهم وافر في الخطابة والأدب والشّعر، ومن أكثر العلماء المعاصرين تأثيراً في الشّعوب، كما أنّه يتميّز بفكره القائم على التّيسير، والوسطية المبنية على الجمع بين مُحكمات الشّرع ومقتضيات العصر، وبقدرته على توظيف النّصوص الشّرعية وتنزيلها على الواقع.

لقد تمسّك جميع المصلحين الجدّد بمقولة إنّ الإسلام دين ودولة، ومجتمع وحضارة، وأكدّوا أنّ النّهوض به يقتضي عملًا شاملًا تتضافر فيه جهود كلّ فئات الأمّة، ويشترط في هذا العمل الفكري التّجديدي أن يكون ملازمًا للعمل الجماهيري لتستعيد شهودها الحضاري.

ولا يمكن الوصول لتحقيق الشّهود الحضاري دون الأخذ بالأسباب، لذلك سيركّز هذا البحث على فكر القرضاوي وأعماله من خلال تحليل نظريّة فقه التّحضر الإسلامي، وتقدير الواقع، ومنهجيّة التّفكير التّي أخذت حيّزاً كبيراً من كتابات القرضاوي، حيث صبّ اهتمامه على فكر المجتمع وثقافته وعلمه، لأنّها تعدّ بمثابة المحدّدات الأساسية للنهوض أو الانحدار بالمجتمع، إضافة إلى اعتبار العقيدة أساس الدّين، ومحرّك التّحضر الإسلامي، ودافع الفرد إلى العمل الصالح.

وتكمن أهميّة هذه الدّراسة في تسليط الضوء على شخصية رائدة في مجالات شتّى، حيث تبرز فكره في الجانب الحضاري، وتوضّح إسهاماته فيه، ثمّ تُعرّف بنظرية فقه التّحضر عند هذا العالم، والتّي تعدّ من أهمّ النّظريات في الدّراسات الإسلامية، لاسيّما بيان دورها المحوري في تجديد الدّين الإسلامي.

وتشتمل هذه الدّراسة على مقدّمة ومبحثين وخاتمة، تتناول المقدّمة أهمية الموضوع ومكانة الشّخصية محلّ الدّراسة.

ويناقش المبحث الأول: نظريّة فقه التّجديد والتّحضر وأسسها عند القرضاوي، وينقسم إلى مطلبين:

الأول: مفهوم التّجديد والتّحضر الإسلامي في اللغة والاصطلاح، ثمّ يتطرّق للأسس التّجديدية والحضارية التّي بيّنها القرضاوي.

الثاني: يظهر فيه نظريّة فقه التّحضر الإسلامي، ذاكراً شروط التّحضّر الإسلامي ورؤيته الوسطيّة.

ISSN : 2410-1818

أما المبحث الثاني: فيعالج الجوانب والمقوّمات التّجديدية في فقه التّحضر لدى القرضاوي، من خلال مطلبين:

الأول: يذكر مقوّمات التّجديد الحضاريّة، التّي تنقسم إلى مقوّمات إيمانيّة وتشريعيّة، وأخرى أخلاقيّة واقتصاديّة.

الثاني: يبيّن إسهامات القرضاوي في مجال التّحضر الإسلامي، من خلال إنتاجه العلمي، ولقاءاته الدّعويّة.

نبذة موجزة عن الدكتور يوسف القرضاوي

ولد الدّكتور يوسف القرضاوي رحمه الله في جمهورية مصر العربية في 1926/9/9م، ونشأ وتعلّم بها حيث أتمّ حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو في عمر العاشرة من عمره، بعد ذلك التحق بمعاهد الأزهر الشّريف، فأتمّ فيها دراسته الابتدائيّة والثانويّة وكان دائما من المتميزين أكاديمياً، ثمّ بعد ذلك التحق بكليّة أصول الدّين بجامعة الأزهر حيث حصل على العالمية، وكان الأول بين زملائه الذين بلغ عددهم مائة وثمانون، ثمّ حصل على العالمية مع إجازة التّدريس من كلية اللغة العربية سنة 1954م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليّات الثلاثة بالأزهر. بعد ذلك حصل القرضاوي على دبلوم معهد الدّراسات العربية العالمية في اللغة والأدب، كما حصل على الدّراسة التّمهيديّة العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسّنة من كليّة أصول الدّين، وفي سنة 1973م حصل على شهادة الدّكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشّرف الأولى من نفس الكلية، وكانت بعنوان الزكاة وأثرها في حلّ المشاكل الاجتماعيّة.

شغل القرضاوي رحمه الله عددا من الأعمال داخل جمهورية مصر العربية وخارجها، حيث عمل فترة في الخطابة والتّدريس في المدارس كما ترأّس معهد الأئمة لوزارة الأوقاف المصرية، بعد ذلك انتقل للعمل في الأزهر، وعمل في مجال الدّعوة والإرشاد، كما قدّم الكثير من الأعمال الخيرية والتّطوعية. وفي سنة 1961م انتقل إلى دولة قطر حيث ترأّس المعهد الدّيني الثانوي، فعمل على تطويره بشكل كبير وبعد ذلك انتقل الى العمل في جامعة قطر ليؤسّس قسم الدّراسات الإسلامية ويرأسه، حيث تولّى تأسيس وعمادة كلية الشّريعة والدّراسات الإسلامية، وظلّ عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي 1990/1989م، كما أصبح المدير المؤسّس لمركز بحوث السّنة والسّيرة النّبوية بجامعة قطر.

كان الدّكتور يوسف القرضاوي، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدّعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه. ولا يوجد مسلم معاصر إلّا التقى به قارئاً لكتاب، أو رسالة، أو مقالة، أو فتوى، أو مستمعاً إلى محاضرة، أو خطبة، أو درس، أو حديث،

ISSN : 2410-1818

أو جواب في جامع، أو جامعة، أو ناد، أو إذاعة، أو تلفاز، أو شريط، أو غير ذلك. ولا يقتصر نشاطه في خدمة الإسلام على جانب واحد، أو مجال معيّن، أو لون خاص بل اتّسع نشاطه، وتنوّعت جوانبه، وتعدّدت مجالاته، وترك في كلّ منها بصمات واضحة تدلّ على ضخامة علمه حيث كتب في مجال التّأليف العلمي والدّعوة والتّوجيه والفقه والفتوى.

كما كانت له العديد من المشاركات في النّدوات والزيارات والمحاضرات والعمل الاجتماعي والتّرشيد والصحوة، ولا بدّ بالذكر حصوله على عدد من الجوائز الكبيرة كجائزة الملك فيصل العالمية، وجائزة السّلطان حسن البلقية وغيرها.[1]

نظرية التّجديد وفقه التّحضر وأسسها عند القرضاوي:

لقد كان القرضاوي عالماً صاحب رؤية ثاقبة وفكر واع، لم يغب طيلة حياته عن ثغور المرابَطة التّي تختصّ بقضايا الأمّة الإسلاميّة، فكان فارس كلّ ميدان، يحمل هموم أمّته السّياسية والثقافية ونهضتها الحضارية، حتّى وصفه الأدباء والمفكرون بضمير الأمّة الحيّ، كما أنّه بسبب إسهاماته الفكرية والفقهية، وكتاباته الحضارية وقف حجر عثرة في طريق تغريب العقلية الإسلامية، وهذه التّصانيف التّي قدّمها للمكتبة الإسلامية هي في مجموعها الضخم تمثّل حجر الزاوية الإصلاحي والحضاري، الذي يخدم الإسلام، حيث تصاغ من خلالها الرؤية الثقافية لجيل تلو جيل نحو الفكر الوسطيّ المنشود، بعيداً عن كيل الاتهامات المُسيَّسة لشخصه، والتّي لا تعرف للإنصاف طريقاً.

ورؤية القرضاوي في التّجديد الحضاري بجميع جوانبه مطلوب في الأمّة الإسلاميّة، شريطة أن يستند إلى مقوّمات وعوامل، ويبنى على أصول ثابتة كالقرآن الكريم والسّنة النّبوية، حتّى يؤتي ثماره. وحين ننظر إلى تراث القرضاويّ رحمه الله ومؤلّفاته، فإنّنا نقف على خطاب دينيّ يرتكز على بعدين أساسيّين:

أولاً: البعد الدّعويّ والتّربويّ: ومن تلك المؤلّفات التّي تناولته ما يلي:

القدس قضيّة كلّ مسلم، وفي فقه الأوّلويّات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسّنّة، ولقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر في جزئين، ومدخل لمعرفة الإسلام. وهذا البعد يعطي الخطاب الدّينيّ صورة ذهنية واضحة ونموذجاً عملياً تطبيقياً، يقدّمه لوعي شامل للإسلام، وكيفيّة تطبيقه باعتباره صالحاً لكلّ زمان ومكان.

([1]) موقع القرضاوي: السّيرة الذاتية | موقع الشّيخ يوسف القرضاوي (al-qaradawi.net).

ISSN : 2410-1818

الثاني: البعد الفقهيّ والمقاصديّ: ومن تلك المؤلّفات التّي تناولته ما يلي:

السّنّة والبدعة، وفقه الزكاة، والحلال والحرام في الإسلام، فقه الوسطيّة الإسلاميّة والتّجديد، والاجتهاد في الشّريعة الإسلاميّة. وهذا النّهج يعطي الخطاب الدّينيّ سمات وملامح تتّسم بالمرونة والحيوية واليسر ورفع الحرج وإعمال الجانب العقليّ في التّعاطي مع المستجدات الحياتيّة من خلال النّصوص والقواعد الشّرعيّة (صفري: 2022).

مفهوم التّجديد والتّحضر الإسلامي وأسسه:

التّجديد في اللغة من الجديد، وهو ضدّ القديم البالي، وفي القواميس اللغوية يعطي معنى القطع والصيرورة والدّوام. والجديد «من جدَّ الشّيءُ يجِدُّ بالكسر جِدَّة: أي صار جديداً، وهو نقيض الخَلِق. وجدّدت الشّيءَ أجُدُّه بالضم جدا: قطعته. وثوبٌ جديد، وهو في معنى مَجْدُودٍ، يراد به حين جَدَّهُ الحائك، أي قطعه[2]) (الجوهري: 1987)، وقال ابن فارس: (وَقَوْلُهُمْ ثَوْبٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّ نَاسِجَهُ قَطَعَهُ الآنَ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ جَدِيدًا[3]) (الرازي: 1979)، (وتجدّد الشّيء: صار جديداً، وأجدّه وجدّده واستجدّه: أي صيّره جديداً[4]) (الجوهري: 1987)، ويبقى السّؤال: هل المعنى اللغوي يختلف عن المعنى الاصطلاحي؟

في حين أنّ مفهوم التّجديد في اصطلاح أهل العلم يدور حول الإحياء، والبحث والتّنقيب عن الأصل الثابت من كتاب الله تعالى وسنة نبيه، والحقّ إنّ العلماء قد تباينت تعاريفهم للتجديد، منها:

ما قاله السّيوطي: (إنّ المراد بتجديد الدّين: تجديد هدايته وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع أو الفتور في إقامته ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته[5]) (الجوهري: 1987)، وهذا المفهوم يعتمد على إظهار روعة هذا الدّين وبيان دوره في إقامة ما يصلح به النّاس، بعيداً عن ابتداع دين آخر لا علاقة له بالإسلام. وعرفه أيضاً (إحياء ما اندرس من العمل من

([2]) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ – 1987م)، ((مادة جدد))، ج2، ص454، وانظر: محمد بن مكرم بن على ابن المنظور، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414ه)، ((مادة جدد))، ج 3، ص111.

([3]) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، د. ط، (د. م: دار الفكر، 1979م)، ((جد))، ج1، ص409.

([4]) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ((جدد))، ج2، ص454، وابن منظور، لسان العرب، ((مادة جدد))، ج 3، ص111.

([5]) المرجع نفسه، ص111.

ISSN : 2410-1818

الكتاب والسّنة والأمر بمقتضاهما[6]) (السّيوطي: 911هـ)، وهذا المعنى لا يبعد كثيراً عن فلك المفهوم الأول، لكنّه يتطلب كشف ما خفي عن النّاس من أمور الدّين، وبيان أصالتها وارتباطها بالقرآن الكريم والسّنة النّبوية، ويرى الغزالي أنّ التّجديد يعني (توضيح ما أبهم الجهل من تعاليم الدّين، وتمكين ما زحزح التّهاون من أمره، وحسن الربط بين أحكامه وبين ما تحدث الدّنيا من أقضية، وتنزيل أحوال الحياة المتغايرة على مقتضيات القواعد العامّة والمصالح المرسلة[7]) (الغزالي: 2005)، ويأتي هذا التّعريف في إطار البيان والإيضاح لأوامر الشّرع ونواهيه، والمعالجة المستمرّة بين التّعاليم الربانية، والعادات البشرية إيجاباً أو سلباً من قِبل المكلّف.

ومنهم من قال إنّ التّجديد معناه: إعادة الدّين إلى ما كان عليه في عهد السّلف الأول[8] (محمد سعيد: 2015). أما تعريف العلامة القرضاوي فهو: (محاولة العودة إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنّه جديد، وذلك بتقوية ما وَهَى منه، وترميم ما بَلِيَ، ورتْق ما انفتق، حتّى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى، فليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، لم يكن هذا من التّجديد في شيء[9]) (القرضاوي: 2001).

والتّعريفات جميعها تدور حول إظهار مكانة الدّين، وتطهيره من شوائب البدع، وضبط فهمه كما فهمه الأولون دون تغيير أو تحريف أو تبديل، وتأكيد العمل بمقتضى الأوامر والنّواهي، وإنزاله على واقع النّاس المتجدد كي يصلح به كما صلح واقع الأوائل، ولا يعني أبداً التّغيير الحتمي للثوابت كما يفهم البعض خطأً.

ولهذا فإنّ المجدّد هو (كلّ من أحيا معالم الدّين بعد طموسها، وجدّد حبله بعد انتقاصه[10]) (المودودي: 1967)، وقد أخبر النّبي – صلى الله عليه وسلم - بتحقّق ذلك لهذه الأمّة على الدّوام، حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا[11]) (أخرجه أبو داود، برقم 4291، وصحّحه الألباني في السّلسلة الصحيحة، برقم 599). والمعنى الأساسي للتّجديد من خلال هذا

([6]) جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي، الجامع الصغير، (ت 911 هـ).

([7]) محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، ط3، (مصر: نهضة مصر، 2005م) ص120.

([8]) بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدّين، ط3 (المملكة العربية السّعودية: مركز التّأصيل للدراسات والبحوث، 1436هـ-2015م) ص21.

([9]) يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة، ط1، (القاهرة: دار الشّروق، 1421هـ-2001م) ص30.

([10]) أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدّين واحيائه، ط2 (لبنان: دار الفكر الحديث، 1386هـ- 1967م) ص13.

([11]) أخرجه أبو داود، (4291)، والحاكم في المستدرك، 4 /567 من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في السّلسلة الصحيحة، برقم 599.

ISSN : 2410-1818

الحديث الشّريف هو جعل عقيدة الإسلام هي الأساس في موقع الدّفع للشهود الحضاري، والحركات التّجديدية الإصلاحية ظهرت في المسلمين بين الفينة والأخرى[12] (النّجار: 2006)، ولا شكّ أنّ هذا الحديث هو أحد منطلقات القرضاوي في رؤيته للتّجديد الحضاري.

أما عن مفهوم التّحضر فإنّ المتصفّح في قواميس اللغة العربية يجد أنّ التّحضر مأخوذ من مادة حَضَر، تقول: (رجل حضر: لا يصلح للسفر، والمحتضر: الذي يأتي الحضر، وهو خلاف البادي[13]) (الجوهري: 1987)، والحاضر ضد البادي والحاضرة ضدّ البادية، وهي المدن والقرى والريف، والبادية ضدّها. يقال: فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، وفلان (حضري) وفلان بدوي وفلان (حاضر) بموضع كذا أي مقيم به، و(بمحضر) فلان أي بمشهد منه[14] (الرازي: 1999)، لهذا فإنّ الحضارة ضد البداوة، وتعني الإقامة في الحضر، وتعطي معنى الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر، ويطلق عليها اسم التّحضر والتّمدن، كما أطلق عليها أيضاً فنّ تنظيم المدن[15] (رضا: 1380)، فالمعنى اللغوي يدور حول الحياة في المدن والقرى وأماكن العمران دون البادية والصحراء؛ لفقدانها مقومات الحياة.

ومن هنا يعتبر المدلول اللغوي للتّحضر يعني إقامة النّاس في المدن والقرى، وسمّيت هذه الإقامة بهذا المدلول حضارة؛ لما فيها من الحضور المستمر، الذي يتميّز باستقرار الحياة، بعيداً عن التّنقل والتّرحال تتبّعاً لمواطن الماء والكلأ، كما يفعل أهل البادية[16] (النّجار: 2006). و لم يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، وإنّما سار في إطاره، حيث عرَّف كثير من أهل العلم الحضارة أو التّحضُّر بجملة من التّعاريف، التّي منها تعريف ابن خلدون للحضارة (هي نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار ويضفي على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الرّاحة وأسباب الرفاهية[17]) (بن خلدون: 1988) ، وهذا التّعريف شامل لكلّ أنواع التّحضر، كالتّحضر البيئي والاجتماعي والفكري، و تعريف مالك بن نبي

([12]) عبد الحميد عمر النّجار، فقه التّحضر الإسلامي، ط2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ – 2006) ص13.

([13]) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ((حضر))، ج2، ص633، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ((حضر))، ج 4، ص 197.

([14]) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ((حضر))، ج2، ص633، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ((حضر))، ج 4، ص197.

([15]) أحمد رضا، معجم متن اللغة، د.ت (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377–1380هـ) ج2، ص111.

([16]) النّجار، فقه التّحضر الإسلامي، ص21.

([17]) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط2، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنّشر، 1988م) ج1، ص259.

ISSN : 2410-1818

بأنّها (جملة العوامل المعنويّة والماديَّة التّي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر لكلِّ عضوٍ فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوُّره[18]) (بن نبي: 2002)، وقد بني هذا التّصور في البناء الحضاري على النّظر بشكل كليّ إلى عناصر الحضارة الثلاث (الإنسان، الوقت، والتّراب[19]) (بن نبي: 2012)، ويرى الدّكتور محمد سعيد البوطي أنّ الحضارة هي (ثمرة التّفاعل بين الإنسان والكون والحياة[20]) (البوطي: 1989)، إلّا أنّ الدّكتور عبد الحليم عويس أستاذ الحضارة الإسلاميّة يختلف مع الدّكتور البوطي في هذا التّعريف، مؤكّداً أنّ ثمرة هذا التّفاعل تحتاج إلى عنصرٍ غاية في الأهميّة وهو التّربية، وأرجع الأمر إلى أحد سببين:

أحدهما: رعونات النّفس الإنسانية وأهوائها، التّي ربّما تحمل أصحابها على الظلم والطغيان إذا تركت على سجيّتها.

وثانيهما: ضلال النّاس عن حقيقة الخير والشّر، لعدم اتفاقهم على مقاييس ثابتة لمعناهما[21] (عويس: 2010).

كما عرَّفه بعضهم التّحضر بأنّه وضع من الاجتماع الإنساني، تثمر فيه علاقات أفراد المجتمع نمطاً معيّناً من الحياة، تنمو فيه المكتسبات المادية والمعنوية[22] (النّجار: بدون تاريخ)، وكانت رؤية الشّيخ القرضاوي للتّحضر أو الحضارة هي أنّها تتكّون من جسم وروح، مثل الإنسان، ثمّ شرع يفصّل المكوّن الأول: وهو الجسم الذي يتمثّل في منجزات الحضارة المادية من المساكن والمصانع، وكلّ ما يحقّق الرفاهيّة ومتع الحياة الدّنيا، وعن حديثه عن روح الحضارة ذكر أنّها مجموعة العقائد والمفاهيم والقيم والآداب والتّقاليد، تتجسد في السّلوك الإنساني، من خلال علاقات المجتمعات أفراداً وجماعات بعضهم ببعض ونظرتهم إلى الدّين والحياة، والكون والإنسان[23] (القرضاوي: 2001).

([18]) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط2، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنّشر، 1988م) ج1، ص259.

([19]) مالك بن الحاج عمر بن نبي، مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، د. ط (القاهرة: دار الكتاب المصري، 1433هـ-2012م) ص87.

([20]) محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، د. ط (دمشق: دار الفكر، 1401هـ-1981م) ص19.

([21]) عبد الحليم عويس، الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل، ط1 (القاهرة: دار الصحوة، 1431هـ-2010م) ص16.

([22]) النّجار، فقه التّحضر الإسلامي، ص19.

([23]) يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ط1، (القاهرة: دار الشّروق، 1421هـ-2001م) ص7.

ISSN : 2410-1818

وترى الباحثة أنّ التّعريف الأشمل للتحضر أو الحضارة هو تعريف الدّكتور يوسف القرضاوي، فقد قسّم مكونات الحضارة إلى جسم وروح؛ وعالج من خلال هذا التّقسيم ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: جسماني، حيث يحقّق التّحضر وسائل الرفاهية والتّقدم العمراني، فيجد الجسم مأوى يستره، والتّقدم الزراعي الذي يجد الجسد معه ما يقتات به، والتّقدم الصناعي حيث يستفاد الجسم من خلاله بالملبس ووسائل الانتقال وغيرها.

البعد الثاني: معنوي، حيث تتجلّى الحضارة في بناء معان إنسانية، يشعر من خلالها الإنسان بالسّعادة الروحية، وهذه المعاني كثيرة منها إزكاء روح التّعاون، ونشر المحبّة والشّعور بالأمن والطمأنينة، مع انتشار العدل، وسط احترام أعراف وعادات المجتمعات وتقاليدهم.

البعد الثالث: فكري: وهو متعلّق بالقسم الثاني في تقسيم القرضاوي للحضارة، وهو ما يقود الفرد إلى البحث عن سبل الهداية، عن طريق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، والتّعرف على غاية خلق الإنسان، وهي العبادة المذكورة في قول اللّه تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[24]) (حبنكة: 1998) (الذاريات: 65)، ويعتبر هذا البعد هو الغذاء الروحي الذي يحيا بسببه الإنسان.

التّحضّر الإسلامي وأسسه:

التّحضّر أمر مكتسب للإنسان يستحدثه بإرادته الكاملة وفق عوامل يحتاجها، تلك العوامل أساسها الإنسان وفكره والتّي تتمثل في ذلك التّصور الذي يحمله عن حقيقة وجوده وغايته من الحياة، حيث إنّ الفكر الإنساني هو أهمّ عامل في التّحضّر. من هنا نجد أنّ التّحضّر الإسلامي هو فقه مصنوع من العقيدة الإسلامية، التّي دفعت المسلمين إلى بناء تلك الحضارة وتطويرها، وقد كانت عقيدة التّوحيد في بنيتها الشّمولية هي التّي ترسم المسارات التّي يجري عليه البناء الحضاري، ولا يتمّ ذلك إلّا من خلال قواعد تشّكل فيما بينها قواعد متكاملة، وذلك ما يطلق عليه بفقه التّحضّر، وهما أمران مرتبطان يتضمّنان عقيدة التّوحيد، ومظاهر التّحضّر العلمية المتمثّلة في المنجزات المادية والمعنوية[25] (النّجار: 2006).

ولا شكّ أنّ التّجديد المنضبط في الفكر الإسلامي يهدف إلى إظهار روعة هذا الدّين، وربط النّاس بالنّبعين الصافيين (القرآن الكريم والسّنة النّبوية)، وفي الوقت ذاته يدافع عن الإسلام أمام

([24]) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ط1 (دمشق: دار القلم، 1418هـ-1998م) ص19-20.

([25]) النّجار، فقه التّحضر الإسلامي، ص49.

ISSN : 2410-1818

التّيارات الفكرية التّي نادت بفكرة التّجديد الرافض للموروث القديم؛ بحجّة عدم صلاحيته كما زعموا لمواكبة التّطور الحاصل في العصر الحاضر والعصور المتلاحقة.

كما أنّ حضارة الإسلام وقفت بتراثها الثري الذي وافق الفطرة الإنسانية أمام التّحديات المتتالية طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنّ الله تعالى هو الذي حفظها، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر: 9)، ومن مظاهره أنّ الله تعالى قيَّض لدينه رجالاً ينفون عنه تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المبطلينَ وتأويلَ الجاهلينَ. ونجد أنّ الحضارة الإسلامية قد تميّزت من بين الحضارات بفقه خاص بها، وهو منطقها الدّاخلي الذي حكم نشأتها وتطورها، ثمّ أصيبت بعد فترة من ازدهارها بخلل أدّى إلى تراجعها وركودها، وهذا ما تطلّب الوقوف لدراسة مرحلة النّهوض وأسباب النّجاح وإعادة الأمّة الإسلامية إلى وضع الشّهود الحضاري، ووضع قواعد ثابتة؛ لتكون بمثابة الميزان الذي يضمن تعديل المسار الحضاري، تعديلاً يفضي إلى استئناف الحركة المرتقبة بالإنسان من حيث قوامه الذاتي وأوضاعه المادية، وتكون الانطلاقة مرجعيتها العقيدة الراسخة، والتّوحيد الخالص، لكي يتحقق التّطور والنّهضة كما حصلت للأوائل[26] (النّجار:2006).

ويتجلّى التّحضر الإسلامي في عدّة مزايا :

أولاً: الربط الدّيني لفكرة التّحضّر:

يعتبر البعد الدّيني بعقيدته وتشريعاته وأخلاقه من أهمّ سمات التّحضّر الإسلامي، فهو الدّافع للارتقاء بالفرد والمجتمع نحو تعمير الأرض، قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود: 61)، وفي الحديث الشّريف (إنْ قامَتِ السّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها[27]) (أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم371..)، ولا شكّ أنّ التّعمير عنصر أساسي من عناصر التّحضّر، وغاية الإنسان أن يقوم بتعمير الأرض وفق ما أمر الله تعالى به ورسوله، ومن هنا يدرك المسلم أنّ العمل والبناء والتّطوير هو الهدف الأسمى للعبادة، وهو سبيل رضا الله تعالى، كما أنّ الطابع الدّيني النّابع من العقيدة الدّينية، يضفي على فقه التّحضر الإسلامي شكلاً يختلف في أسس بنائه عن أيّ حضارة أخرى، ذلك أنّه يمنح المؤمن بهذه العقيدة فرصة التّقرب إلى الله سبحانه، وقد أسهم الشّيخ القرضاوي في إبراز دور التّحضر الدّيني من خلال نشر مبادئ الاعتدال والتّسامح في الإسلام , ودعا إلى الاحترام المتبادل والتّفاهم بين المسلمين والمجتمعات الأخرى، ورفض التّطرف والعنف , وأكّد على ضرورة تواصل المسلمين مع العالم الحديث والمشاركة الفعالة في الحوار العالمي، مع المحافظة على القيم والمبادئ الإسلامي " من أكبر العار على

([26]) النّجار، فقه التّحضر الإسلامي، ص48.

([27]) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم 371.

ISSN : 2410-1818

المسلمين أن يظلّوا على حالهم تلك من الأميّة والتّخلف , ودينهم أعظم حافز على التّعلم والتّقدم , وهو يهيّئ لهم من الأسباب المادية والاجتماعية , ومن المناخ العقلي والنّفسي ما يخرجهم من الجهل إلى العلم , ومن البداوة إلى الحضارة , ومن الظلمات إلى النّور " [28] ومن ميزات هذ البعد الدّيني كما ذكر مالك بن نبي أنّ الدّين هو أساس الأفكار التّي تعمل على تحريك الحضارة، وإطلاق شرارتها كي تدخل التّاريخ كما حدث مع الحضارة الإسلامية، وهو الذي يحقّق نهضة المجتمعات وتحضرها، والسّر في ذلك أنّ منهجه الراقي يقوّم الطاقة الحيوية التّي تصنعها الغرائز في خدمة النّفس البشرية[29] (بن نبي: 1959).

وإذا قارنا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فإنّنا نجد الفرق شاسعاً والبون كبير، فعلى الرغم من التّقدم والتّطور العلمي في حضارة الغرب، إلا أنّها أفلست أخلاقياً، لأنّ الدّين ليس له مجال في حياتها؛ لهذا فإنّ كثيراً من المفكرين والباحثين، توصّلوا إلى أنّ الحضارة الغربية تعيش مرحلتها الأخيرة من دورتها الحضارية، أمّا حضارة الإسلام فإنّها تراعي التّطور الإنساني، وتتميّز بالمرونة والتّجديد.

ثانياً: الارتقاء الفردي في تحضّر المجتمع:

لا شكّ أنّ الإنسان إذا كان لديه أساس ديني يستند عليه فإنّه يترقّى في سلم الكمال البشري، وينطلق نحو قاعدة التّقدم الحضاري، لأنّ خطّ العبودية لله تعالى ينمّي النّفس البشرية ذاتياً، فتسمو الروح، وينشط الجسد، ويقبل العقل على التّطوير والإبداع، وتحب النّفس العمل، وهذا من أهمّ الأسس في نظرية فقه التّحضر[30] (القرضاوي: 2012).

ثالثاً: اشتراك الأمّة في التّجديد والتّحضّر:

يرى القرضاوي أنّ الارتقاء الفردي عندما يزدهر ويتطور، فإنّه ينعكس على ارتقاء الجماعة، لأنّ قواعد الارتقاء والتّحضّر تحث على التّكافل وتحمل المسؤولية والعمل الجماعي، وهذا يدعو الأمّة للاشتراك في التّجديد؛ فتقوم بدورها في إنتاج المجددين، وتهيّئ لهم الظروف المناسبة، وتساعدهم على

([28]) القرضاوي , من أجل صحوة راشدة , ص203

([29]) بن نبي، مشكلات الحضارة، ص89.

([30]) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، د. ط (القاهرة: مكتبة وهبه، 2012م) ص109.

ISSN : 2410-1818

تحقيق أهدافهم، وتزيل العقبات من طريقهم حتّى يصل كلّ فرد إلى مكانه الحقيقي في مسيرة التّجديد[31] (القرضاوي: 2009).

وهذا ما ذهب إليه القرضاوي حيث يتوافق مع ما أكّده ابن خلدون في مقدّمته، بأنّ (الإنسان اجتماعي بطبعه[32]) (ابن خلدون: 1988)، وفيه دليل على أنّ الفطرة البشرية تجنح إلى العيش وسط الجماعة، فتتفاعل معها وتنسجم مع العلاقات الاجتماعية التّي تدفع نحو مستقبل أفضل. وما يثير الاهتمام في شخصية القرضاوي الفكرية وصفه لحال الأمة الإسلامية الآن ومعاناتها من الأزمات الدّينية والثقافية والاجتماعية والسّياسية والاقتصادية، بسبب اكتوائها بنار الحضارة المادية، وهذا هو السّبب الرئيس في تخلفها وتراجعها، حتّى أصبحت في نهاية قافلة الحضارات بعدما كانت في أولها.

شروط التّحضر في فكر القرضاوي:

يقدّم القرضاوي رؤية حضارية تتمثّل في التّجديد، الذي يعتبر بمثابة (محاولة العودة بالشّيء إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنّه جديد، من خلال تقوية ما وهي منه، وترميم ما بلي، حتّى يعود أقرب ما يكون إلى صورته[33]) (القرضاوي: بدون تاريخ)، وقد أكّد بهذه الرؤية على وجود الأصل الثابت، الذي يحتاج إلى التّجديد، كالبيت القديم الذي يحتاج إلى ترميم، كي يعود إلى سابق عهده، فلابدّ من تحقيق جملة من شروط التّحضّر في الارتقاء الحضاري لا يتمّ إلّا بآليات ممنهجة وواضحة.

الشّرط الأول: العودة بالدّين إلى المنهج الإلهي:

الذي بعث اللّه "سبحانه" به رسوله الكريم، حيث إنّه منهج من العقائد والعبادات والأخلاق والشّرائع ينظم به حياة البشر وعلاقتهم باللّه سبحانه وتعالى، ولابدّ أنّ يتأسس المجتمع على العقيدة الصحيحة، وعلى معاني الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، حيث إنّ هذه أركان العقيدة الإسلامية وأساس الأعمال الصالحة، ويتمّ التّركيز على حقيقة التّوحيد[34] (القرضاوي: 2012).

([31]) يوسف القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد معالم ومنارات، (الدّوحة: مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتّجديد، 1430هـ، 2009م) ص148.

([32]) ابن خلدون، المقدمة، ص39.

([33]) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص11.

([34]) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص12.

ISSN : 2410-1818

الشّرط الثاني: الفقه في الدّين:

حيث يرى القرضاوي أنّ الفهم والوعي هو مفتاح التّجديد في الدّين، ويتسع الفقه هنا ليشمل: فقه في الكون، وفقه في الدّين، كما أشار القرآن الكريم والسّنة النّبوية، فالفقه الأول: يعني الفهم عن اللّه فيما خلق، والثاني يعني الفهم عن اللّه فيما شرع، فهو يمثّل المعرفة الواعية، التّي نحصل عليها بعد دراستنا المتفحصة للإسلام من ينابيعه الصافية، بحيث يفهم فهماً سليماً بعيداً عن غُلوّ المتطرفين[35] (القرضاوي: 2009).

الشّرط الثالث: تجديد الاجتهاد:

حيث قد أشار القرضاوي إلى أساس هام وهو تجديد الاجتهاد؛ لأنّ الحاجة إلى التّجديد الفكري والثقافي يعيد للاجتهاد حياته ونشاطه من جديد، فهو يطرح المشكلة ويضع لها حلولاً في ضوء القاعدة الشّرعية وفق نصوص أدلتها، لا من ثقافة الغرب، ويرى أنّ مرد ذلك إلى المتخصصين في هذا المجال من أهل المجامع العلمية المعنية بذلك المجال أن تتكفل بهذا الأمر، وعلى كليات الشّريعة أن تجعل مناهجها وكتبها ودراساتها تساهم في تكوين عقليه فقهية قادرة على التّحديات، اغتناماً لقدرات النّابهين من طلابها[36] (القرضاوي: 2009).

الشّرط الرابع: احترام العقل:

حيث أرى أنّ الدّكتور القرضاوي وضع هذا الشّرط لأنّ التّيارات المعادية للإسلام قد اتهمت الفقهاء بالجمود العقلي، وطالبوا بتحرير الفقه، لكن خصوم الدّين من أكثر الفاقدين لامتلاك أدوات الاستنباط ومعرفة الدّليل، فالجهل يسيطر على المشهد المعادي للمشروع الإسلامي برمّته، فضلاً عما يعتمل في صدورهم تجاه هذا الدّين.

ومن هنا؛ يرى القرضاوي أنّ التّجديد كي يؤتي ثماره لابدّ وأن يشمل العقل مع الدّين؛ لأنّ التّطورات الحاصلة في الحياة، تحتاج إلى عقلية علمية واعية، وقادرة على التّصدي للأفكار المنحرفة[37] (القرضاوي: 2009)، فوجب احترام العقل وتطويره كأحد الشّروط المهمة للتجديد والتّحضر.

([35]) القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد، ص161.

([36]) المرجع نفسه، ص163.

([37]) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص109.

ISSN : 2410-1818

الشّرط الخامس: أهمية الدّور الأسري في بناء المجتمع:

حيث يرى القرضاوي أنّ من أهمّ شروط التّحضر الإسلامي التّربية الأسرية، التّي تخرج للمجتمع أجيالاً صالحة، حسب صلاح الأسرة، فهي كالقلب بالنّسبة للجسد، الذي يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، لذا فإنّ الدّور الذي تقوم به الأسرة يبني مجتمعاً إسلامياً، له شخصيته المتفردة المعتزة بدينها، وأسس بناء الأسرة يقوى إذا كان اختيار الزوجة حسناً، إضافة إلى التّوافق الروحي، والملائمة، والتّكافؤ بين الزوجين[38] (القرضاوي: 2004)، لكي تؤدّي المرأة دورها المنوط بها داخل كيان الأسرة بفاعلية، فهي صانعة أبطال هذه الأمة، وقد كرمها الإسلام في كلّ مناحي حياتها بنتاً وزوجة وأختاً وأمّاً، تأكيداً على إنصافها ومكانتها العليا في المجتمع، لهذا كان لزاماً أن تتحرر من رواسب عصور التّخلف التّي حرمتها الكثير من حقوقها، ولابدّ من إعطاءها حقها في التّعليم والعمل وفق الضوابط الشّرعية[39] (القرضاوي: 2010).

الشّرط السّادس: إقامة دولة عادلة:

قائمة على عدل الله وتحتكم بما أنزل الله "سبحانه وتعالى"، مبنية على تيار الوسطية والتّجديد فتعدل في الرعية، وتقسم بالسّوية، وتدعو إلى الخير، وتقاوم الشّر، فيقام نظام الحكم على العدل والشّورى، ورعاية الحقوق، والالتّزام بشريعة الله وما أنزل من الكتاب[40] (القرضاوي: 2009).

الشّرط السّابع: تقوية اقتصاد الأمة وإقامته على أسس إسلاميّة:

إذ لابدّ من العمل بشكل مكثف بهدف الاكتفاء ذاتياً، حتّى لا تخضع الأمّة لأيّ سلطة بسبب الأوضاع المالية، أو الحاجة، وتكون مستقلّة اقتصادياً ذات اقتصاد مبني على الشّريعة الإسلامية، له مقوّماته وخصائصه المميزة، فهو اقتصاد ربّاني، يقوم على فكرة الاستخلاف في مال الله واقتصاد إنساني، اقتصاد أخلاقي، واقتصاد تعاوني، لا يقوم على طبقة واحدة، بل تتعاون فيه كلّ الطبقات، لمصلحة الأمّة كلّها، مع الانفتاح على العالم، والاستفادة من خير ما فيه، ويجب تشجيع إقامة المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، وتعميق أسسها الشّرعية والفكرية الإسلامية[41] (القرضاوي: 2012).

([38]) يوسف القرضاوي، الأسرة كما يريدها الإسلام، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004م)، ص15.

([39]) يوسف القرضاوي، مركز المرأة في الحياة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2010م)، ص4.

([40]) القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد، ص187.

([41]) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص236.

ISSN : 2410-1818

ويهدف القرضاوي من خلال هذه الشّروط إلى إلزام المسلمين بالمنهج الإلهي، والتّعرف عليه بفهم دقيق، يقوم على الاجتهاد، وفق نصوص الشّرع مع احترام العقل ومكانته، وأهمية الدّور الأسري في التّربية، وصولاً إلى إقامة دولة تعمل بشرع الله تعالى، وتحتكم لأمره، حتّى تقوى اقتصادياً، فتنال قوتها وتكتسب مقوماتها وتستقل ذاتياً وفكرياً.

الرؤية الوسطية للقرضاوي في فقه التّحضّر:

يتّسم منهج القرضاوي بالوسطية، كونه لم ينضم لجموع المفتونين بحضارة الغرب والمنبهرين بها، رغم أنّه يراها حضارة قد بلغت أرقى المستويات المادية، لكنّه حكم عليها بعين الإنصاف أنّها تعاني من الإفلاس الأخلاقي، وكذلك لم يكن مؤيّداً لأصحاب الجمود الفكري، الذين لم تتطور أفكارهم، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمة كتاب الحلال والحرام.

ومن منطلقات القرضاوي في رؤيته الوسطية قول الله تعالى: ﴿**وكذلك جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة:143)، وترى الباحثة أنها الدّافع الرئيس لاتخاذه هذا المنهج الوسطي، حيث يرى أنّ الوسطية مطلب شرعي أصيل، ومقصد أسمى، ومظهر حضاري رفيع، بها تتحقق العدالة، لأنّ الإسلام دعا إلى الاعتدال في كلّ أمور الحياة، وهي منهج اختاره الله تعالى لهذه الأمّة؛ لتحقيق الأمن والسّلام والحرية بين أفرادها، ولعلّ الأمّة في هذه الأيام تشتد حاجتها للوسطية أكثر من أي وقت آخر، لما تمرّ به من أحداث، تعمل على تمزيق وحدتها، عن طريق التّيارات الفكرية التّي نشأت على العنف والتّطرف الفكري والدّيني، وبعُدت عن فهم المعنى الحقيقي للإسلام[42] (القرضاوي: 2009)، ومن هنا فقد تبنى القرضاوي هذا المنهج الوسطي، في دعوته وكتاباته، شاهراً سيفه الفكري على المتشددين تارة وعلى خصوم الإسلام تارة أخرى، ولا يكاد يذكر المنهج الوسطي في العصر الحديث إلا ويذكر معه القرضاوي "رحمه الله"، فهو بحق رائد هذا الميدان، والسّر في ذلك هو وضوح منهج الإسلام الذي سطّر القرضاوي ملامحه في بحوثه وكتبه، إضافة إلى أنّه تلقّى العلم على يد علماء كانوا أحرص النّاس على اتّباع منهج الوسطية، فتكونت شخصيته وفكره وإيمانه بهذا المنهج.

يرى القرضاوي أنّ الإسلام لما كان متميزاً بمنهجه المعتدل والمتوازن في العقائد والأحكام، والشّعائر والشّرائع، والقيم والأخلاق، والتّقاليد والمشاعر، والمتأمل في كتابات القرضاوي يجد أنّ فلسفته في الوسطية تقوم على الاعتدال والتّوازن بلا جنوح أو غلو؛ لأنها تمثل معنى استقامة المنهج، الذي عبَّر عنه القرآن الكريم بـ (الصراط المستقيم)، فهو ليس مائلاً إلى اليمين ولا إلى اليسار، قال تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ *صِرَٰطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ** ﴾ (الفاتحة: 6-7)،

(42) القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد، ص28.

ISSN : 2410-1818

والآيات الكريمة تشير إلى اتخاذ منهج وسط بين من عرف الحق ولم يتبعه، وبين من لم يعرف الحق؛ لأنّ كليهما لم يعرف الطريق القويم[43] (القرضاوي: 2009). ولم يغب عن القرضاوي أن يبين في كتاباته فوائد الوسطية الإسلامية، حيث ذكر أنّها:

- تمثّل مركز الوحدة في المنتصف، فتثمر البعد عن الانحراف، وتؤكّد على القوة في شتّى الجوانب المادية والفكرية والمعنوية.
- تمثّل منطقة الأمان والبعد عن الخطر؛ لأنّ الأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد، بخلاف الوسط فهو منهج بعيد عن الشّدة والقسوة[44] (القرضاوي: 1989).

والوسطية من خصائص الإسلام، وتبدو واضحة في كلّ جوانبه، المتعلقة بالجانب العقدي، وجانب العبادات، وكذلك الجانب الأخلاقي، ويبن ذلك القرضاوي في مشروعه الحضاري على النّحو الآتي:

أولاً: وسطية الإسلام في الاعتقاد:

يرى القرضاوي أنّ الوسطية الإسلامية في الجانب العقدي، ترتكز على ما قام عليه الدّليل القطعي، والبرهان اليقيني، الذي يحترم منطق العقل، فهو من حيث الانتماء بهذه القاعدة وسط بين الإفراط والتّفريط؛ لأنّه لا ينتمي إلى من يسرفون في الاعتقاد، ويؤمنون بغير برهان، ولا إلى الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما يؤمن القرضاوي بمكانة العقل وأهميته في إدراك الحقائق، بعيداً عن الغلو فيه، أو الاستهانة به، فالوسطية العقدية من وجهة نظره بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدرًا لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين لا يؤمنون إلا بالوحي والإلهام، ولا يعترفون للعقل بدور في نفي أو إثبات؛ لأنّ الإسلام يؤمن بالعقل، ويدعوه للنظر والتّفكير، وينكر عليه الجمود والتّقليد، ويخاطبه بالأوامر والنّواهي، ويعتمد عليه في إثبات وجود الله تعالى[45] (القرضاوي: 1989)، وما قيل في جانب التّوحيد ينسجم أيضاً على سائر المعتقدات، كالإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب وبالرسل وباليوم الآخر، وهذا هو الفكر الوسطي الذي ينبغي على الجميع الالتّزام به.

([43]) القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد، ص28.

([44]) القرضاوي، خصائص العامة للإسلام، ص151.

([45]) القرضاوي، خصائص العامة للإسلام، ص155.

ISSN : 2410-1818

ثانياً: وسطية الإسلام في العبادات والشّعائر:

هذه الوسطية تراها واضحة في الإسلام إذا ما قورنت بالأديان والنّحل الأخرى، فالإسلام بمنهجه الوسطي راعى التّوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، ويظهر ذلك من خلال تكليف المسلم بأداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السّنة كالصوم، أو في العُمْر مرة كالحج؛ ليظل دائما موصولا بالله، ومع هذا لم تطالبه بالتّفرغ والانقطاع التّام، حتّى يشبع الجانب المادي، بينما نجد المسيحية دعت أتباعها إلى الرهبانية والانقطاع عن الحياة والإنتاج، وفي المقابل اقتصرت الدّيانة البوذية[46] (السّاموك: 1992) في فلسفتها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده دون تشريعات توازن بين متطلبات الجسد والروح[47] (القرضاوي: بدون تاريخ)، وهكذا سائر الأديان تفرط في جانب وتتجاهل جوانب أخرى، لكن المنهج الإسلامي يؤكّد على الوسطية في الجانب التّعبدي، ويعلن الحرب على ما يضاد هذا التّوازن والاعتدال، بدليل بغضه للرهبنة عند النّصارى كما في قول الله تعالى: **(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**[48]) (الحديد: 27) (السّعدي: 2000).

ثالثاً: وسطية الإسلام في الأخلاق:

المنظومة القيمة والأخلاقية في الإسلام تتميز بالمنهج الوسطي كما ذكر القرضاوي، هذه الوسطية الأخلاقية بين غلاة المثاليين الذي نظروا إلى الإنسان على أنّه ملاك أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين، الذين حسبوه حيوانًا أو كالحيوان، فأرادوا له من السّلوك ما لا يليق به، أما نظرة الإسلام للإنسان فكانت وسطاً بين أولئك وهؤلاء؛ لأنّه في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشّهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، قد هُدِي لطريق

([46]) البوذية: ديانة وضعية نشأت في بلاد فارس قبل الميلاد، على رجل يدعى "زرادشت بن بورشب"، وقد وُلد في منتصف القرن السّابع قبل الميلاد حوالي 660 بأذربيجان، على مقربة من بحيرة أورميا، وهاجر في مرحلة شبابه إلى شرق إيران، ومات قتيلاً في بيت من بيوت النّار في "بلخ" حوالي سنة 583 قبل الميلاد، ومن معتقدات هذه الدّيانة إنكار تعدد الآلهة، وعبادة الأصنام، واقتصر على الاعتقاد بأن قوتان تحكمان العالم: قوة الخير (أهرمان) وقوة الشّر (أهورامزدا)، وكانوا يقدسون النّار، ينظر: سعدون محمود السّاموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ط1، (الأردن: دار المناهج للنشر والتّوزيع، 1422هـ-2002م) ج1، ص79 وما بعدها، وينظر: محمد بن عبد الكريم الشّهرستاني، الملل والنّحل، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م) ص 264.

([47]) القرضاوي، خصائص العامة للإسلام، ص155.

([48]) الرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتّزموا لوازم ما كتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التّزموا بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله تعالى، ومع ذلك ما قاموا بها ولا أدّوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتداعهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم. فهذه الحال هي الغالب من أحوالهم، انظر: تيسر الكريم الرحمن السّعدي في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م) ص843.

ISSN : 2410-1818

الخير والشّر، مصداق قول الله تعالى: (وَهَدَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد: 10) ، وتهيأ بفطرته لسلوك السّبيلين، إمّا شاكرًا وإما كفورًا[49] (القرضاوي: 1989)، هذه هي الوسطية في الرؤية الحضارية للقرضاوي لفقه التّحضر، حاولت إيجازها قدر المستطاع، وإلا فهي تحتاج إلى بحوث كثيرة، نسلط من خلالها الضوء على فكر القرضاوي الواسع ورؤيته العميقة.

مقومات التّجديد في فقه التّحضر عند للقرضاوي:

المقومات الإيمانيّة والتّشريعيّة:

مرتكزات تجديد الخطاب الإسلامي، وحقيقة حفظ الدّين على صورته الأصيلة لا تتأتى إلا من خلال العودة إلى الكتاب والسّنة في ضوء فهم سلف الأمّة الصالح، إضافة إلى الاستفادة من التّجارب المعاصرة النّافعة، حتّى يتمكّن المسلم من فهم الواقع الذي يحياه بجميع جوانبه، ويتعامل معه على أفضل وجه وأكمله، عندها يكون الخطاب الجماهيري أكثر تأثيراً واستيعاباً وقوة، ويرى القرضاوي أنّ هنالك مبادئ أو مقومات لابدّ أن تتوفر في التّيار الدّعوي كي يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويستطيع عرض أصوله ومفاهيمه بطريقة تضمن الحفاظ عليه، ومن ذلك المقومات الإيمانية والتّشريعية، أمّا الأولى فتتطلب:

أولاً: الفهم الشّمولي التّكاملي المتوازن للإسلام، فهماً تتجلّى فيه خاصية الشّمول والتّكامل، بوصف الإسلام عقيدة وشريعة، علماً وعملاً، عبادة ومعاملة، وثقافة وأخلاقاً، وحقاً وقوة ودعوة ودين ودنيا، وحضارة وأمة[50] (القرضاوي: 2009)، والوقوف أمام كل دعوى باطلة تريد تجزئة أحكام الإسلام وتعاليمه، كدعوى مَن يريدونه أخلاقاً بلا تعبُّد، أو تعبُّداً بلا أخلاق، أو عقيدة بلا شريعة، أو زواجاً بلا طلاق، أو سلاماً – أو استسلامًا – بلا جهاد، أو حقاً بلا قوة، أو ديناً بلا دنيا، أو دعوة بلا دولة، وهو ما يرفضه الإسلام نفسه؛ لأنّ الله تعالى يقول: **(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)** (المائدة: 49).

ثانياً: المزج المتوازن بين المتقابلات، أو الثنائيات، التّي ربّما يتوهّم الكثيرون أنّها متضادات لا يمكن الجمع بينها، كالمزج بين الروحية والمادية، وبين الربانية والإنسانية، وبين المثالية والواقعية، وبين نور العقل ونور الوحي، وبين الدّنيا والآخرة، وبين حظّ النّفس وحقّ الربّ، وحقوق الخلق، وبين الإبداع المادي والاقتصادي والسّمو الروحي والأخلاقي، بحيث يأخذ كلّ جانب منها حقّه، دون طغيان على الجانب الآخر، قال تعالى: **(أَلَّا تَطغَوْاْ فِي المِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ الوَزنَ بِالقِسطِ وَلَا تُخسِرُواْ المِيزَانَ)** (الرحمن: 8-

(49) القرضاوي، خصائص العامة للإسلام، ص166، وينظر أيضاً: القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص236.

(50) القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد، ص177.

ISSN : 2410-1818

9) ، ومن هنا تتكامل العناية بالعبادة، والثقافة، والرياضة، والفنون، والعلوم. فالعبادة تُغَذِّي الروح، والثقافة تُغَذِّي العقل، والرياضة تُغَذِّي الجسم، والعلوم تُغَذِّي الحياة[51] (القرضاوي: 1989).

ثالثا: المقومات التّشريعية: إنّ التّشريع أحد المقومات الأساسية، التّي لا بّد لأيّ مجتمع أراد ضبط علاقاته، ومعاقبة من انحرف عن قواعده، أن يجعل قانوناً حاكماً تتساوى أمامه النّاس، سماوياً كان أو أرضياً، حفاظاً على سلامة الجماعة، وصيانة لكيانها المادي، وإقامة القسط بينها، ومن هنا أرسل اللّه تعالى رسله، وأنزل كتبه لضبط مسيرة الحياة بالحق، قال تعالى: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)** (لحديد: 25)، فالشّريعة الإسلامية هي المنهاج الذي وضعه اللّه تعالى لتنظيم الحياة الإسلامية على ضوء القرآن الكريم والسّنة المطهرة، ولا يكون المجتمع مجتمعا إسلاميا إلا بتطبيقها والرجوع إليها في حياته كلّها.

ويرى القرضاوي أنّ أهميّة التّشريع تتجلّى في حاجة البشرية إلى تشريع رباني سالم من القصور والأهواء، وهذا لا يوجد إلّا في التّشريع الإسلامي؛ لأنّه يحمل هداية اللّه الأخيرة للبشر، ولا يوجد في الأرض تشريع رباني آخر، لأنّ المصادر السّماوية كالتّوراة والإنجيل قد نالتّها يد التّحريف والتّبديل، كما هو ثابت لدى الدّارسين المحققين من العلماء[52] (القرضاوي: 2012).

والقرآن الكريم هو المصدر السّماوي الوحيد المحفوظ بحفظ اللّه له، إيفاءً بالوعد الإلهي كما في قوله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ)** (الحجر:9)، بعكس الكتب الأخرى التّي أوكل اللّه تعالى حفظها لأصحابها، فقال: **(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)** (المائدة:44)، فالقرآن هو الكتاب الباقي بلا زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تغيير ولا تبديل، وهو التّشريع الذي ينقل التّوجيهات الدّينية والأخلاقية إلى قوانين ملزمة، يعاقب من تركها، إنّه التّوجيه الإلهي الذي يجنّب البشر الضلال في الفكر، والانحراف في السّلوك[53] (القرضاوي: 2012).

المقومات الأخلاقية والاقتصادية:

يرى القرضاوي إنّ المجتمعات الإسلامية تعاني من أزمة أخلاقية، وعلاجها في تصحيح الفكر أولاً، لذا كانت أولى الآيات نزولاً **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ)** (العلق: 1) ، لتؤكد أنّ القراءة مفتاح العلم والفكر، ثمّ بعد ذلك جاء العمل والأخلاق في قوله تعالى: **(يَٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ**

(51) القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص126.

(52) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص180.

(53) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص180.

ISSN : 2410-1818

فَطَهِّر * وَالرُّجزَ فَاهجُر * وَلَا تَمْنُن تَستَكثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصبِر) (المدثر: 1-7)، فالبداية تكون في تصويب الفكر وتصحيح منهج النّظر، ثمّ يعقبها السّلوك والأخلاق، ليحكم المجتمع جملة من الفضائل والمثل العليا، فيلتزم بها، وقد قال رسول الله في ذلك: (بعثت لأتمّم صالح الأخلاق)، فلا انفصال في هذا المجتمع بين العلم والأخلاق، ولا بين الفن والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين السّياسة والأخلاق، ولا بين الحرب والأخلاق، وإنّما الأخلاق عنصر يهيمن على كلّ شؤون الحياة وتصرفاتها، ولابدّ أن تصل هذه الثقافة إلى المجتمع عبر وسائل الإعلام المختلفة، وعن طريق التّربية الأسرية[54] (القرضاوي: 2012).

أمّا المقوم الاقتصادي فأساسه المال، حيث إنّ الشّريعة لها نظرة مختلفة عن الشّرائع إلى المال ووظيفته، وطرائق تداوله وتوزيعه، فهو العدّة الضرورية لعمارة الأرض، لهذا أنشأ الإسلام نظامه الاقتصادي القائم على قواعد أساسية أهمها[55] (القرضاوي: 2012): اعتبار المال خيراً ونعمة في يد الأخيار، المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، الدّعوة إلى العمل والكسب الطيب، واعتباره عبادة وجهادًا، تحريم موارد الكسب الخبيث، تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمّة، الاعتدال في الإنفاق، إيجاب التّكافل بين أبناء المجتمع، تقريب الفوارق بين الطبقات، من هنا فإنّ المال يبقى وسيلة تساعد أداء كثير من الواجبات، كالحج والجهاد، شريطة ألا يصبح صنماً يُعبد من دون الله، وألا يفتتن به النّاس فيصبح غاية لا وسيلة، وقد حذّر الله تعالى النّاس من آثار المال والافتتان به، فقال تعالى: **(وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** (الأنفال: 28)، وقال تعالى: **(أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَا أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ)** (المنافقون: 9).

الإسهامات الحضارية للقرضاوي:

الكتب العلميّة عن الحضارة الإسلاميّة:

تنوّعت إسهامات القرضاوي في إظهار الفقه الحضاري الإسلامي، من خلال ميادين الكتابات العلمية الرصينة، واللقاءات المتلفزة، وتكوين مركز يهتمّ بهذا الجانب، وتظهر هذه الإسهامات فيما يأتي:

لقد حظيت المكتبة الإسلامية بجملة من الكتب التّي ألّفها القرضاوي، وهي بحق إضافة علمية رائعة في مجال التّجديد وفقه التّحضر، وصف من خلالها مكانة الإسلام بحضارته الراقية بين

([54]) المرجع نفسه، ص180.

([55]) القرضاوي، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، ص181.

ISSN : 2410-1818

الحضارات الأخرى، مستدلاً على مميزات وخصائص هذا الدّين في مقابل غيره من الدّيانات، حيث أكّد على حصول التّكامل بين العلم والإيمان في الإسلام، بخلاف النّزاعات التّي حصلت في غيره، كما أظهر تميز منهج الإسلام بالتّوازن بين الربانية والإنسانية، وبين الوحي والعقل، وبين الروحية والمادية وبين الأخروية والدّنيوية، وبين الفردية والجماعية، وبين الحقوق والواجبات، وبين الثبات والتّغير[56] (القرضاوي: 2001)، بينما أظهر التّصادم بين هذه الأمور في غيره من الحضارات الأخرى، وقد تعدّدت الكتب في هذا الميدان، مثل:

أولاً: كتاب الخصائص العامة للإسلام[57] (القرضاوي: 1989)، شرح فيه خصائص الإسلام السّبعة (الربانية، الإنسانية- الشّمول – الوسطية والتّوازن – الواقعية – الوضوح – الجمع بين الثبات والمرونة).

ثانياً: كتاب حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمّتنا[58] (القرضاوي: 2004)، ألقى فيه الشّيخ الضوء على مشروع الأمّة الحضاري، الذي يستنقذ البشرية من الضلال، وخاصة الإنسان الغربي، الذي بلغ سطح القمر، لكنه لم يستطع أن يحقق السّكينة والسّعادة على ظهر الأرض.

ثالثاً: الإسلام حضارة الغد[59] (القرضاوي: 2001)، لم ينكر فيه الشّيخ بزوغ الحضارة الغربية، ووصولها إلى القمة وما ملكته من قدرات ووسائل لم تمتلكه حضارة من قبل، إلا أنّه أخذ عليها أنّها لم تراع فطرة الله سبحانه وتعالى في الإنسان، فرسالة الإسلام الحضارية التّي يحملها المسلمون إلى العالم، هي رسالة ربانية إنسانية أخلاقية، تهيّىء الإنسان ليقوم بعمارة الأرض وخلافة الله وعبادته سبحانه. والكتب في هذا المجال كثيرة أكتفي بالإشارة إلى ما ذكرت، وإلّا فالأمر يحتاج إلى مبحث خاص لجمعها والتّعريف بها.

([56]) يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، ص157 وما بعدها.

([57]) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1989م).

([58]) يوسف القرضاوي، حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004م).

([59]) يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد (القاهرة: مؤسسة الرسالة، 2000م).

ISSN : 2410-1818

مؤتمرات شارك فيها القرضاوي:

استمراراً للعطاء الحضاري الذي قدّمه القرضاوي، فإنّ مشاركاته في المؤتمرات والنّدوات التّي أقيمت في كثير من دول العالم أكثر من أن تحصى، منها على سبيل المثال:

أولاً: المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي، الذي أقيم بجامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة عام 1976، وكانت عنوان مداخلته (دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية[60])، وعالج فيه جملة من المشكلات، مثل: مشكلة البطالة والفقر والدّيون والفوارق الاقتصادية، وكنز النّقود وحبسها، وقدّم فيها رؤية حضارية منبثقة من نصوص الشّرع.

ثانياً: المؤتمر العالمي الخامس عن الطب الإسلامي، الذي تمت أشغاله في القاهرة عام 1988م، وقد شارك الشّيخ القرضاوي بورقة بحثية تحمل عنوان (الخواء الروحي وضياع الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة[61]) (الشّنقيطي: 2010)، وصف فيها حالة التّردي الإنساني في مستنقع الماديات، والحاجة الماسة للتوازن، وإشباع الجانب الروحي.

ثالثا: النّدوة العلمية التّي أقيمت في لندن عام 2005م عن مقاصد الشّريعة الإسلامية: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التّطبيق، وكان البحث الذي شارك به عنوانه (بين المقاصد الكلية والنّصوص الجزئية: دراسة في فقه مقاصد الشّريعة[62])، ودارت كلمته في المؤتمر حول سرّ اهتمامه بمقاصد الشّريعة، وعن مدلول كلمة فقه مقاصد الشّريعة، وأكّد في هذه الكلمة أنّه انطلق من خلال عبارة لابن القيم ترسخت في أعماقه، ذكر فيها أنّ الشّريعة مبناها وأساسها مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلّها[63] (القرضاوي: 2008).

رابعاً: مؤتمر الإفتاء في عالم مفتوح: الواقع الماثل والأمل المرتجى، الذي أقامته دولة الكويت الشّقيقة عام 2007م، وقد شارك بمداخلة عنوانها: (موجبات تغيّر الفتوى في عصرنا) وهذا قمة التّحضر، حيث تتغير الفتوى بتغيّر المكان والزمان، مع الحفاظ على الثوابت الدّينية.

([60]) أشغال المؤتمر 21-26 صفر 1396هـ، الموافق 21-26 فبراير 1976م.

([61]) محمد بن المختار الشّنقيطي، دليل الباحثين إلى كتابات العلامة الدّكتور يوسف القرضاوي، كلية الدّراسات الإسلامية، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، 1431هـ-2010م، ص31.

([62]) جعلها الدّكتور القرضاوي كتاباً مستقلاً بعد ذلك.

([63]) يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد الشّريعة بين المقاصد الكلية والنّصوص الجزئية، ط3 (القاهرة: دار الشّروق، 2008م)، ص11 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

برنامج الشّريعة والحياة:

من الإسهامات الحضارية للقرضاوي برنامج الشّريعة والحياة، الذي كانت تبثه قناة الجزيرة القطرية على مدار عقود، ناقش من خلاله مجموعة من القضايا المتنوعة، التّي تتعلق بالعقائد والعبادات والآداب والأخلاق، كما تطرّق لأثر الإيمان في حياة الأمّة، وحاجة النّاس إلى التّوحيد، وعرّج على القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وتناول حقوق الإنسان في الإسلام، وقضايا المرأة ومكانتها في المجتمع المسلم، وخصّص حلقات عن البيئة ورعايتها في الشّريعة الإسلامية، وكذلك عن موقف الإسلام من التّمييز العنصري وعلاقة الإسلام بالآخر، وسبل الحوار مع المخالف، وأكّد أنّ هذا هو المنهج القويم الذي أقرّه القرآن الكريم، ثمّ ضرب أمثلة على ذلك كحوار الأنبياء مع أقوامهم، حتّى الجدال معهم كان بأرق العبارات وأنبل الألفاظ، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿**وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ**﴾ (النّحل: 125)، وعالج قضايا تطور الشّريعة الإسلامية ومرونتها وعوامل السّعة فيها، ودورها في تنظيم الحياة، ولم يغفل القرضاوي في هذا البرنامج عن قضايا التّجديد مبيناً الإرث الحضاري الذي سعدت به الأمّة المحمدية، حيث تناول الإسلام والدّيمقراطية، وكثير من المسائل التّي تتعلق بالمستجدات المعاصرة، فهو أستاذ في هذا المجال، وهذا لا يخفى على كثير من النّاس[64] (موقع الشّيخ يوسف القرضاوي al-qaradawi.net)، ولا شكّ أنّ هذا البرنامج الذي قدمه الشّيخ خلال سنوات، يعد مشروعاً فكرياً حضارياً يحمل بين جنباته عنواناً للوسطية والاعتدال.

([64]) راجع الشّريعة والحيـاة | موقع الشّيخ يوسف القرضاوي (al-qaradawi.net) .

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

بعد ما تقدّم يمكننا أن نستنتج جملة من الأمور كانت ثابتة واضحة في فكر الشّيخ القرضاوي التي قدّمها على أنّها أسس لفقه التّحضر الإسلامي:

- التّجديد والتّحضر الإسلامي يقوم على أصوله الثابتة المتمثّلة في القرآن الكريم والسّنة النّبوية، ونشر تلك الأصول بغية الارتقاء بالمجتمع.
- تبنّى القرضاوي منهج الوسطيّة الإسلاميّة والتّيسير مع الالتّزام بضوابط الشّريعة ومبادئها المبنية على الاعتدال والموضوعيّة.
- التّجديد وفقه التّحضّر في رؤية القرضاوي يقومان على مبادئ وأسس منبثقة من العقيدة الإسلاميّة لابدّ من الالتّزام بها.
- العولمة والانفتاح على العالم، عبر مواقع التّواصل الاجتماعي، غير مرفوض في فكر القرضاوي التّحضري، وإنّما يتحتم على المسلمين اغتنام هذه الفرصة واستثمارها دعوياً، دون الانسلاخ من الهوية الإسلاميّة كما يريد خصوم الإسلام.

التّوصيات:

ولا بدّ في النّهاية من التّأكيد على أهميّة المزيد من الدّراسات لموضوع البحث والشّخصية المعتبرة فيه لتحقيق فوائد أكبر، واستكمال الصّورة من جوانب متعدّدة لم يتناولها هذا البحث مع إشارته إلى أهمّيتها لعلّ ذلك يكون إضاءة لمواضيع بحوث جديدة في قادم الأيام، ومع كثرة الصّعوبات والعداوات التّي تواجه العالم الإسلامي فإنّنا متفائلون بالقوة الإسلاميّة وقدرتها على الارتقاء كسابق عهدها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو داود (أخرجه)، (4291)، والحاكم في المستدرك، 567/4 من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في السّلسلة الصحيحة، برقم 599.
- ابن المنظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، (مادة جدد)، ج3.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ط2، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنّشر، 1988م) ج1.
- ابن نبي، مالك بن الحاج عمر، مشكلات الحضارة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، د. ط (القاهرة: دار الكتاب المصري، 1433هـ - 2012م).
- ابن نبي، مالك بن الحاج عمر، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1 (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1423هـ - 2002م).
- البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم371.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، د. ط (دمشق: دار الفكر، 1401هـ-1981م).
- عويس، عبد الحليم، الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل، ط1 (القاهرة: دار الصحوة، 1431هـ-2010م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ - 1987م)، (مادة جدد) ج2.
- الدّيب وآخرون، يوسف القرضاوي.. كلمات في تكريمه وبحوث في فكره وفقهه، (القاهرة: دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، 2004).
- الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، (د. م: دار الفكر، 1979م)، (جد)، ج1.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشّيخ محمد، ط5 (بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ / 1999م).
- السّعدي، تفيسر الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا، (د.م، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م).
- السّيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، (ت 911 هـ)

ISSN : 2410-1818

- الغزالي، محمد، كيف نفهم الإسلام، ط3، (مصر: نهضة مصر، 2005م).
- القرضاوي، يوسف، الأسرة كما يريدها الإسلام، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004م).
- القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد (القاهرة: مؤسسة الرسالة، 2000م).
- القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد، ط1، (القاهرة: دار الشّروق، 1421هـ-2001م).
- القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام (القاهرة: مكتبة وهبة، 1989م).
- القرضاوي، يوسف، حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا (القاهرة: مكتبة وهبة، 2004م).
- القرضاوي، يوسف، دراسة في فقه مقاصد الشّريعة بين المقاصد الكلية والنّصوص الجزئية، ط3 (القاهرة: دار الشّروق، 2008م).
- القرضاوي، يوسف، فقه الوسطية الإسلامية والتّجديد معالم ومنارات، (الدّوحة: مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتّجديد، 1430هـ ، 2009م).
- القرضاوي، يوسف، مركز المرأة في الحياة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2010م).
- القرضاوي، يوسف، ملامح المجتمع الانساني الذي ننشده، د. ط (القاهرة: مكتبة وهبه، 2012م).
- القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة، ط1، (القاهرة: دار الشّروق، 1421هـ-2001م).
- المودودي، أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدّين واحيائه، ط2 (لبنان: دار الفكر الحديث، 1386هـ- 1967م).
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ط1 (دمشق: دار القلم، 1418هـ-1998م).
- النّجار، عبد المجيد عمر، فقه التّحضر الإسلامي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999).
- النّجار، عبد الحميد عمر، فقه التّحضر الإسلامي، ط2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ - 2006).
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، د.ت (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377 - 1380هـ) ج2.
- سعيد، بسطامي محمد، مفهوم تجديد الدّين، ط3 (المملكة العربية السّعودية: مركز التّأصيل للدراسات والبحوث، 1436هـ- 2015).

ISSN : 2410-1818

- صفري، رباب اسماعيل، دور الخطاب الدّيني في الحوار الحضاري على ضوء تجربة قطر، أكاديمية الحضارة الإسلامية، 2022 .
- محمد بن المختار الشّنقيطي، دليل الباحثين إلى كتابات العلامة الدّكتور يوسف القرضاوي، كلية الدّراسات الإسلامية، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، 1431هـ - 2010م.
- وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، العلامة يوسف القرضاوي ريادة علمية وفكرية وعطاء دعوي إصلاحي، 1438هـ، 2017م.
- أشغال المؤتمر 21-26 صفر 1396هـ، الموافق 21-26 فبراير 1976م.
- الشّـريعة والحيـــاة، موقع الشّيخ يوسف القرضاوي (al-qaradawi.net) .